



علم نفس

قرانی جدید

۲

الدین كالماء

والعقواء

obeikandi.com

منذ مشرق الحضارة في مصر منذ أكثر من  
سبعة آلاف عام، والبوصلة الأولى لحركة الحياة في  
مصر كانت هي الخوف من الله.. وعلى جدران  
المعابد جميعها رأينا رسم الميزان في الآخرة  
وطقوس البعث والحساب والثواب والعقاب.. وفي

كتاب الموتى (وهو ما تبقى من صحف النبي إدريس) وجدنا  
بصمات التوحيد والتمجيد للواحد الذي خلق كل شيء.. ورغم ما  
أصاب هذا التوحيد من انحرافات وثنية بفعل الكهنوت والسياسة  
والحكام فقد ظل الإيمان خاصية تضرب في جذور المصري  
القديم.. وحينما وفد الإسلام على مصر كانت مصر أكثر البلاد  
احتضاناً له ولتعاليمه.. وأكثر البلاد احتفالاً بالتوحيد.. واحتضن  
المصري القرآن واحتفى به تجويداً وترتيلاً وكتابة وإيماناً.  
وخرجت أجمل الأصوات التي ترتل القرآن من مصر وأجمل  
الأقلام التي تخط القرآن من مصر.

ووجد المصري في القرآن صدى لما كان مكنوناً في قلبه..  
ووجد فيه بوصلة هادية وضابط إيقاع وورقة عمل لحياته..  
ووجد فيه الصدى والرجع لصوت الحق القديم في وجدانه.  
والذين يظنون أن مصر لن تتقدم إلا بنبيذ الدين والإيمان  
والفرق في الحياة المادية العلمانية لا يفهمون مصر ولا يفهمون  
الشخصية المصرية.. وأسألکم.

ماذا فعلت بنا العلمانية وماذا فعل بنا ترك الدين وماذا فعل بنا

الغرق في المادية والعبودية للنظام العالمي الجديد...!!؟

إن صفحة الحوادث تلخص لنا الكثير مما طرأ على حياتنا..  
الابن الذي يقتل أباه والأم التي تقتل أولادها والممرضة التي تقتل مرضاها والأطباء الذين يجرون الجراحات الوهمية من أجل المال وتناظر المدرسة الذي يدير شبكة للدعارة يستدرج فيها تلميذاته للعمل بالدعارة نظير نسبة من الأرباح.. وطلبة المدرسة الذين يشتغلون فيها التناز ليحرقوا سجلات غيابهم.. ونواب الشعب الذين يقترضون الملايين من أموال الشعب من البنوك بدون ضمانات.. والغش والفساد والرشاوى والسرقات والعمولات بالملايين التي تتسرب من اقتصاد البلد الذي أصبح كالغربال الملىء بالخروق.. والطبقة الوسطى التي تكاد تختفي ولا يبقى إلا طبقتان هما الأغنياء بلا حدود والفقراء بلا حدود وبينهما ألد العدا.

وهذا هو الإفراز الطبيعي لنبت الدين والتهاك على الماديات والغرق في الدنيويات والاستسلام للشهوات وموت الضمير الديني وعمى القلوب وصدأ النفوس.

والمصري لا يجد نفسه في هذا اللون من التقدم.. وما هو بتقدم على الإطلاق.. بل هو انحلال وتفسخ وأنهيار وجاهلية ثانية أشنع من الجاهلية الأولى.. وتلخيص عملية الإصلاح في مسمى واحد هو «رفع دخل الفرد» هو تلخيص مغل للمشكلة الاجتماعية ولحقيقة الإنسان، فالمطلوب هو الارتقاء بالإنسان كله.. وليس مجرد محتويات جيبه.. ولا قيمة لبضعة ألوف زيادة في الدخل إذا كانت ستنفق في الجريمة وفي الإفساد.

إنه لا بد إذن من «بوصلة هادية» للإنسان أولاً.. وبدون الدين..

وبدون القيم.. لا معنى لشيء وبدون الإيمان.. لا أمل.  
وكما بدأ شروق الحضارة في بلادنا منذ أكثر من سبعة آلاف سنة بالإيمان، سوف تكون البداية الصحيحة الآن من نفس المنطلق.. من الإحساس العميق بالغييب وبالله الواحد القادر على كل شيء وبالوقفه التي سيقفها كل واحد منا ساعة الحساب.  
ولا يتنافى مع هذا الإيمان أن نؤمن بالعلم وأن نسعى في اكتسابه وأن تبني وأن نعمر وأن نفكر وأن نتفلسف وأن نبدع وأن نتفنن وأن نحب وأن نعشق وأن ننشد الشعر وأن نقراً ونعترف من كل جديد، فكل تلك الإبداعات هي من عطاءاته.. من عطاءات ذلك الإله العظيم الملهم.. والدين والعلم والفن والفكر تلازموا وترافقوا كإخوة بطول حركة التاريخ الإسلامى.. ولم يكن الإسلام إرهاباً فى أى زمان .

وإذا عدنا إلى القرآن بنفوس عطشى وقلوب والهة فسوف نجد فيه الرؤى التنويرية التي يحتاجها عصرنا الفقير المعدم فى إيمانه الغنى لدرجة البطر فى امكانياته وماديته.

نعم.. نحن فى أشد الحاجة للعودة إلى القرآن بأرواح عطشى ونفوس متطلعة بشوق لنفحات الغيب.. لنقرأ عن حقيقة نفوسنا وحقيقة عصرنا وحقيقة مشاكلنا.

أما الذين اختاروا نبذ الدين طريقاً والعلمانية منهجاً والدنيا غاية وحيدة.. فقد اختاروا الموت لنفوسهم ودخلوا الحارة السد التي لا مخرج منها.. وهم فى تيهه وضياح حتى يعودوا إلى هويتهم المصرية من جديد.. إلى ذلك المصرى القديم الجديد الواقف مكان أحناتون المرسل عينيه إلى آفاق الغيب.. الهامس أبداً.

أبدا لا أموت.. بل أقوم من القبر لأقف بين يدي الديان.  
 هكذا كان يقول المصري القديم.. ومن هنا بدأت حضارته.  
 وهكذا تشعر النفس السوية أمام مأساة الميلاد والموت.  
 أما الذين اكتفوا بالحياة المادية واستناموا إلى إشباع النفس  
 الشهوانية فهم فى موت منذ ولدوا، وهم لم تتفتح عيونهم بعد  
 على معنى الحياة.. وهم فى موت متجدد كل يوم.  
 إن غياب البعد الأبدى من الحياة وتقلصها إلى لحظات عابرة  
 يؤدي إلى سقوط كامل للقيم ولا يبقى من الحياة إلا فاترينة  
 استهلاكية وبطون تفرغ لتمتلىء وإيقاع متكرر ممل خال من  
 المعنى.

وارتفاع نسبة الانتحار بين الشباب فى بلاد الشبغ والوفرة  
 والرخاء مثل السويد والنرويج يؤكد هذا الكلام.. إن إشباع  
 الرغبات المادية لا يكفى ليجعل للحياة معنى وإنما سر الحياة  
 وجمالها وسحرها فى بعدها الأبدى الغيبى وفى المعانى المتوارية  
 وراء الحس وفى الكمالات التى تحكى عنها الأديان.  
 إن موت الروح وليس جوع البدن هو الذى يدفع هذا الشباب  
 المرفه الشبعان إلى الانتحار.

والياس والملل والصدأ النفسى والاكتئاب هى درجات السلم  
 السفلى المؤدية للانتحار.. ولا شىء يمكن أن يجلو صدأ النفس  
 مثل ترتيل بضع آيات يهمس بها القلب المؤمن فيطمئن ويهدأ  
 ويسكن فيه طائر القلق.

إن التدين ضرورة اجتماعية، إنه الماء والهواء بالنسبة لهذا  
 الزمان المنكود.. وفى كم المشاكل التى يعيش فيها الشباب  
 يتزاحم على أبواب الجامعات وينتظر الوظيفة ويبحث عن عمل

ويبحث عن سكن ويبحث عن شريكة حياة.. هو فى حاجة إلى الصبر.. ولا شيء يعين على الصبر مثل الإيمان.. وتحت سحابة التهديد المستمر على الحدود واحتمالات المستقبل المحفوف بالأخطار والسلام الإسرائيلى الذى لا يعنى لنا أى سلام.. نحن فى حاجة إلى سلاح نفسى.. ولا يوجد فى ترسانة الأسلحة ما هو أقوى من سلاح الإيمان.. ولن نجد من هو أقوى من الله معنا وظهيرا وسندا وحافظا وملهما عند الشدائد.. فكيف يتأتى لعاقل فى مثل هذه الظروف أن يقول بتهميش الدين وتهميش التعليم الدينى.. وما يسميه البعض بتجفيف ينبوع (أى تجفيف كل مصادر التزود بالعلوم الدينية) وهو مطلب لا ينادى به إلا عدو لدود يريد بنا الهلاك والدمار.. وعلى من نعتمد إذا لم نعتمد على الله.. وإلى من نتوجه.. نتوجه إلى الدعم الأمريكى أم إلى النجدة الأوروبية!!

إن الذين قاتلوا المسلمين فى البوسنة وفى ألبانيا كانوا هم الأوروبيين أنفسهم .

والذين دمغوا الإسلام بالإرهاب واتهموه بالوحشية والعدوان كانوا هم الأمريكان والأوروبيين.

فكيف نطلب النجدة والعون منهم.. وهم وإسرائيل جبهة واحدة.

وإذا كانت الدبلوماسية العاقلة تقتضى مسالمة الكل تفاديا للمشاكل.. فإنها لا يمكن أن تعنى قطع الصلة بمصادر قوتنا.

إن الإسلام هو الدرع الواقى لهذه المنطقة المستهدفة من العالم.. وهو خيمة الأمان لمستضعفى هذا الزمان.. بل هو خيمة الأمان لنصارى هذه المنطقة أيضا.

وأرجو ألا تغيب عن المسئولين هذه الحقيقة وألا تختلط عليهم الألوان.. وألا يخدمهم الكلام المزخرف والدبلوماسية المزوقة.. وأرجو أن يعود الأزهر إلى كامل تخصصه الدينى وأن يكف المشرفون فيه عن اختصار مقرراته وتقليص مساحة القرآن فيه، ثم إنكار ما يحدث ونشر البيان تلو البيان بأن كل شيء على ما يرام وليس فى الإمكان أبدع مما كان.

وأعود فأقول إن الإسلام هو الدفاع الاستراتيجى لهذه المنطقة كما فعل فى الماضى حينما صد الهجمة الصليبية وحينما انكسرت على حائطه جحافل التتار.. والغرب لن ينسى هذه الهزائم.. وهو لهذا يريد أن يقتلع هذه الشوكة التى فى طريقه.. وهو يركز هجومه هذه المرة على الإسلام نفسه فى محاولة تشويهه ثم يتسلل إلى المؤسسة التعليمية الدينية تحت مسميات زائفة مثل تجفيف الينابيع زاعماً أنه يريد أن يحمينا من الإرهاب (والإرهاب من صنعه) ثم يتسلل إلى برامج التعليم فى الأزهر فى محاولة لعلمنة الأزهر ثم يتسلل إلى حصن القرآن الحصين فى محاولة أخيرة لاختصار مقرراته تحت زعم التخفيف على الطالب.. وما هو إلا التسلل المدروس لبدك الحصون والمعازل واحدا بعد الآخر.. والأيدى التى تساهم فى هذه الاختصارات هى شريكة فى هذه الجريمة من حيث لا تدرى ومن حيث تظن أنها تخفف على الطالب وهيئة التعليم فى الأزهر مسئولة عن كل ما يجرى على التعليم الدينى.

ولا يملك الراصد لهذه الظواهر المتتالفة إلا الشك.. فكلها خطوات محسوبة تهدف إلى هدف واحد هو إزاحة الإسلام من الطريق وتعطيل دوره الفاعل وفتح الطريق لعوامل الانحلال والفساد والتشردم والفرقة والاختلاف تمهيدا لتفجير المنطقة كلها من الداخل.

ولا يمكن أن يحسن الظن بكل هذا إلا ساذج فليس فيما يجرى أمامنا أمورا عفوية تلقائية بل تدابير محسوبة.. وكانت البداية الملفتة هي هذا «الإرهاب» المصنوع والممول بسخاء والملصق عليه بطاقة الإسلام.. وإعلان إنجلترا استضافتها لمؤتمرات الجماعات الإسلامية الإرهابية.. عجباً!! ومتى كانت إنجلترا موثلاً وملاذا للإسلاميين من أي لون؟!! ومن الذي يغذى هذه الأرصدة بالملايين التي تودع في حسابات هذه الطغمة من القتلة المحترفين في بنوك الغرب.. وكيف يمكن أن نواجه كل هذا بإغماض العين وحسن الظن.. وكيف يمكن أن يفوت كل هذا على المؤسسة التعليمية في الأزهر قلعة الدين وحصنه الحصين.

والخلاصة المفيدة لكل هذا أنهم يريدون ضرب الإسلام في مقتل، وأنهم قرروا استئجار الحثالة المجرمة من المسلمين لهذا الغرض.. وأنهم يدفعون لهم ويدبرون لهم المساوى والملجأ والملاذ والشقق الفاخرة في لندن وجنيف ويعقدون لهم المؤتمرات.. بل هم الآن يؤلفون السور القرآنية المزيفة وينشرونها على شبكة الانترنت لاقتلاع العقيدة من جذورها.

أما لماذا تكلفوا كل هذا المال والجهد.. فلأنهم أدركوا أنه لا سبيل إلى هزيمة المنطقة وتفجيرها إلا بضرب الإسلام وتفجيره.. والمعنى المستفاد.. أن الإسلام هو بالفعل درع المنطقة وركنها الشديد وصمودها وقوتها، وهو الحارس الذي يستدعى عند النوازل والشدائد ولا أحد يمكن أن يحل محله ساعة الهول.. وهو منتصر دائماً وأبداً.. رغم جميع عوامل الإحباط.. ومن كان يتصور أن الحملة الصليبية التي اشتركت فيها تمويلاً وتسليحاً كل دول أوروبا.. كان يمكن أن تنكسر على أبواب بيت المقدس

بهذه الفئة القليلة المؤمنة من المسلمين الذين خاضوا الحرب. ومن كان يتصور أن جحافل التتار الذين لم تقف أمامهم قوة في آسيا ولا في الشرق الأوسط.. والتي تهاوت أمامها الحصون والقلاع.. كان يمكن أن تنهزم أمام هذا المملوك «قطن»... ومعه شذمة من المقاتلين المسلمين لا يملكون إلا أسلحة محدودة. إنه الإسلام في الحالين.. وراية لا إله إلا الله التي لا تُهزم. هم أدركوا هذا.. ولهذا دبروا من البداية للقضاء على الإسلام واقتلعه من جذوره.. ابتداء من منابعه التعليمية ذاتها.. وقالوا في أنفسهم.. نبدأ بالأزهر أولاً. وأقرأوا المقال من أوله. إن الدين ليس فقط ضرورة اجتماعية.. وليس فقط أداة للسلام الاجتماعي.. بل هو الماء والهواء لكل إنسان.. وهو الركن الشديد الذي سنحتمي به ساعة الهول. واذكروا هذه الكلمات.. فهي ليست كلمات للاستهلاك اليومي.